

﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٣﴾ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [يونس: 62 - 63]

❁ مُنَاسَبَةُ الْآيَتَيْنِ لِمَا قَبْلَهُمَا:

لَمَّا بَيَّنَّ سُبْحَانَهُ إِحَاطَتَهُ بِجَمِيعِ الْأَشْيَاءِ، وَكَانَ فِي ذَلِكَ تَقْوِيَةً لِقُلُوبِ الْمُطِيعِينَ، وَكَسْرٌ لِقُلُوبِ الْعَاصِينَ؛ أَتْبَعَهُ سُبْحَانَهُ بِشَرْحِ أَحْوَالِ أَوْلِيَائِهِ الْمُخْلِصِينَ⁽¹⁾، فَقَالَ: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾؛ شَرْحًا عَلَى وَجْهِ التَّبَشِيرِ وَالْوَعْدِ⁽²⁾، ثُمَّ ذَكَرَ وَصْفَهُمْ، فَقَالَ: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾، فَهَمْ "لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ مِمَّا يَسْتَقْبِلُونَهُ مِنْ أَهْوَالِ الْآخِرَةِ، وَلَا يَحْزَنُونَ عَلَى مَا خَلْفَهُ وَرَاءَهُمْ فِي الدُّنْيَا"⁽³⁾.

بيان أحوال
أولياء الله
وأوصافهم،
بعد ذكر إحاطته
بالكون قاطبة

❁ شَرْحُ الْمُفْرَدَاتِ:

(1) ﴿أَوْلِيَاءَ﴾: مَصْدَرُهُ الْوَلِيُّ، وَهُوَ الْقُرْبُ، وَأَصْلُهُ الْمَطَرُ الَّذِي يَأْتِي بَعْدَ الْمَطَرِ، وَالْإِسْمُ: الْوَلِيُّ، يُقَالُ: تَبَاعَدَ بَعْدَ وَلِيٍّ، أَيْ: قُرْبٍ، وَجَلَسَ مِمَّا يَلِينِي، أَيْ: يُقَارِبُنِي⁽⁴⁾، وَتَقُولُ: عَلَى الْوَلَاءِ، أَيْ: الشَّيْءِ بَعْدَ الشَّيْءِ. فَمَعْنَى الْوَلِيِّ: الشَّيْءُ الْقَرِيبُ التَّالِي دُونَ فَاصِلٍ مَادِّيٍّ أَوْ زَمَانِيٍّ، فَهُوَ لَيْسَ بِالتَّصَاقُفِ، وَجَمِيعُ الْإِسْتِعْمَالَاتِ تَدُورُ حَوْلَ هَذَا الْمَعْنَى، وَيُقَالُ: أَوْلَى، أَيْ: أَحَقُّ، وَذَلِكَ لِقُرْبِهِ⁽⁵⁾، سِوَاهُ أَكَانَ الْقُرْبُ مَعْنَوِيًّا أَمْ مَادِّيًّا، وَالْوَلِيُّ عَلَى وَزْنِ (فَعِيلٍ) بِمَعْنَى (فَاعِلٍ)، وَالْمَقْصُودُ فِي الْآيَةِ: الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ وَالَوْهُ بِالطَّاعَةِ وَالْعِبَادَةِ.

(1) الشَّوْكَانِي، فَتْحُ الْقَدِيرِ: 2/519، وَالْأَلُوسِي، رُوحُ الْبَاقِي: 6/138، وَالهَرَبِيُّ، حَادِثَاتُ الرُّوحِ وَالرِّيحَانِ: 12/290.

(2) أَبُو الشَّعْوَدِ، إِرْشَادُ الْعَقْلِ السَّلِيمِ: 4/158.

(3) أَسْعَدُ حَوْمَدٍ، أُبْسَرُ التَّفَاسِيرِ، ص: 427.

(4) الْخَلِيلُ، الْعَيْنُ: (وَلِيٌّ).

(5) الْأَنْبَارِيُّ، الْأَضْدَادُ، ص: 46.

(2) ﴿لَا خَوْفٌ﴾: أصلُ الخَوْفِ: الذُّعْرُ والفَزَعُ، خَافَهُ يَخَافُهُ خَوْفًا وَخِيفَةً، كَأَنَّ الَّذِي يَخَافُ مَنْخُوبُ الْفُؤَادِ، كما قال تعالى: ﴿وَأَفْعِدْتُهُمْ هَوَاءً ۝٤٣﴾ [إبراهيم: 43⁽¹⁾]، والتَّخْوِيفُ والإِخَافَةُ: الإِفْزَاعُ والإِرْهَابُ⁽²⁾، وَضِدُّهُ: الأَمْنُ، وأصلُهُ: النِّقْصُ، يُقَالُ: تَخَوَّفْنَاهُمْ، أَي: تَنَقَّصْنَاهُمْ، ومنه قوله تعالى: ﴿أَوْ يَأْخُذْهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ﴾ [النحل: 47]، وناقَةُ خَوْفَاءً، أَي: ناقِصَةٌ بها داءً⁽³⁾، والمقصودُ في الآية: نَفْيُ الذُّعْرِ والفَزَعِ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ عِنْدَ الْفَزَعِ الْأَكْبَرِ.

(3) ﴿يَحْزَنُونَ﴾: أصلُ الْحَزَنِ الدَّلَالَةُ عَلَى خُسُونَةِ الشَّيْءِ وَشِدَّتِهِ⁽⁴⁾، وَالْحُزْنُ: الْغَمُّ الْحَاصِلُ لَوْقُوعِ مَكْرُوهٍ أَوْ فَوَاتِ مَحْبُوبٍ فِي الْمَاضِي، وَيُضَادُّهُ: الْفَرْحُ وَالسُّرُورُ. يُقَالُ: حَزَنَهُ، يَحْزِنُهُ، وَحَزَنَ، يَحْزَنُ، فَهُوَ حَزِينٌ⁽⁵⁾، فَمَجْمَلُ هَذِهِ الْمَادَّةِ تَدُلُّ عَلَى جَفَافٍ وَخُسُونَةٍ تُخَالِطُ بَاطِنَ الشَّيْءِ أَوْ تَمْتَدُّ فِيهِ، فَيَغْلُظُ وَيَخْشَنُ. والمقصودُ في الآية: نَفْيُ الْغَمِّ وَالْأَسَى عَنْهُمْ. وَلَعَلَّ هَذَا هُوَ الْمَعْنَى الْمُحَرَّرُ لِلْحُزَنِ، أَعْنِي: الشُّعُورَ بِقِسْوَةِ الْأَمْرِ وَشِدَّتِهِ وَخُسُونَتِهِ.

(4) ﴿ءَامِنُوا﴾: مِنَ (الإِيمَانِ): وَهُوَ إِقْرَارٌ بِالشَّيْءِ عَنْ تَصْدِيقٍ بِهِ، وَضِدُّهُ: الْكُفْرُ، يُقَالُ: آمَنَ بِهِ إِيْمَانًا: صَدَّقَهُ. وَيُسْتَعْمَلُ تَارَةً اسْمًا لِلشَّرِيعَةِ الَّتِي جَاءَ بِهَا مُحَمَّدٌ ﷺ، وَعَلَى ذَلِكَ: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِقُونَ﴾ [الثَّائِيَةِ: 69]، وَيُوصَفُ بِهِ كُلُّ مَنْ دَخَلَ فِي شَرِيعَتِهِ مُقَرَّرًا بِاللَّهِ وَبِنَبِيِّتِهِ ﷺ. وَيُسْتَعْمَلُ تَارَةً أُخْرَى عَلَى سَبِيلِ الْمَدْحِ، وَيُرَادُ بِهِ إِذْعَانُ النَّفْسِ لِلْحَقِّ عَلَى سَبِيلِ التَّصْدِيقِ، وَذَلِكَ بِاجْتِمَاعِ ثَلَاثَةِ أَشْيَاءَ: تَحْقِيقُ بِالْقَلْبِ، وَإِقْرَارُ بِاللِّسَانِ، وَعَمَلُ بِالْجَوَارِحِ⁽⁶⁾، قَالَ الرَّبِيدِيُّ: "وَقَدْ يُطْلَقُ الْإِيمَانُ عَلَى الْإِقْرَارِ بِاللِّسَانِ فَقَطْ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا﴾ [الْمُنَافِقُونَ: 3]، أَيِ آمَنُوا بِاللِّسَانِ، وَكَفَرُوا بِالْجَنَانِ"⁽⁷⁾.

(5) ﴿يَتَّقُونَ﴾: أصلُ الْوَقَايَةِ دَفْعُ شَيْءٍ عَنْ شَيْءٍ بَغَيْرِهِ، يُقَالُ: وَقَى نَفْسَهُ مِنَ الْعَدُوِّ بِسِلَاحِهِ، أَي: دَفَعَهُ بِهِ، وَفُلَانٌ مَا لَهُ مِنْ وَاقٍ، أَي: مِنْ دَافِعٍ. وَالْوَقَايَةُ: مَا يَقِي الشَّيْءَ،

(1) جبل، العجم الاشتقاقِي لِلْوَضَلِ: (خوف، خيف).

(2) الخليل، العين، والأزهرِي، تهذيب اللُّغة، وابن منظور، لسان العرب: (خوف).

(3) الكفَوِيُّ، الْكَلِمَاتُ، ص: 428.

(4) الأزهرِي، تهذيب اللُّغة، وابن فارس، مقاييس اللُّغة، وابن سيده، الحكم، وابن منظور، لسان العرب: (خوف).

(5) النَوَائِي، التَّوْقِيفُ عَلَى مَهْمَاتِ التَّعَارِيفِ، ص: 139، وَالرَّبِيدِيُّ، تاج العروس: (حزن).

(6) الرَّاعِبُ، الْفَرْدَاتِ، وَالسَّمِينُ الْحَلَبِيُّ، عَمْدَةُ الْحَقَافِ: (أمن).

(7) الرَّبِيدِيُّ، تاج العروس: (أمن).

وَاتَّقِ اللَّهَ: تَوَقَّهْ، أَيِ اجْعَلْ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ وَقَايَةً. قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ»⁽¹⁾، وَكَأَنَّهُ أَرَادَ: اجْعَلُوهَا وَقَايَةً بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهَا⁽²⁾، وَالتَّقْوَى: اتَّخَذَ الْوَقَايَةَ وَالْحِمَايَةَ مِنَ الشَّيْءِ، وَالتَّوَقَّى: الْحَذَرُ، وَتَأْتِي الْوَقَايَةُ بِمَعْنَى الْحِفْظِ مِنَ الْأَذَى وَالضَّرَرِ⁽³⁾، وَالْمَقْصُودُ فِي الْآيَةِ: الَّذِينَ يَتَحَرَّزُونَ مِنَ الْمَهَالِكِ فِي الدُّنْيَا⁽⁴⁾.

❁ الْمَعْنَى الْإِجْمَالِي:

أَلْمَحَتْ الْآيَةُ إِلَى مَضْمُونِ الْخُطَابِ؛ وَهُوَ أَنَّ مَنْ تَوَلَّى اللَّهَ تَعَالَى، وَاقْتَرَبَ مِمَّا يُرْضِيهِ، وَابْتَعَدَ عَمَّا يُغْضِبُهُ، فَلَا خَوْفَ يَجْتَلِيهِ، وَلَا أَحْزَانَ تَعْتَلِيهِ، وَقَدْ تَوَلَّى السِّيَاقُ بَيَانَ صِفَاتِ أَوْلِيَاءِ الْأَوْلِيَاءِ؛ بِأَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْإِيمَانِ الثَّابِتِ، وَالتَّقْوَى الْمُتَجَدِّدَةِ، وَهِيَ صِفَاتٌ تَعْلِيلِيَّةٌ لِأَوْلِيَاءِ الْأَوْلِيَاءِ، فَجَمَعَ السِّيَاقُ التَّعْرِيفَ بِالْأَوْلِيَاءِ بِالْمَالِ وَالْحَالِ، حُكْمًا وَتَعْلِيلًا، وَوَلِيُّ اللَّهِ هُوَ الْمُحِبُّ لِلَّهِ بِحَقٍّ، الْمَطِيعُ لِأَمْرِهِ بِصَدَقٍ، الْمُجْتَنِبُ لِنَوَاهِيهِ دُونَ تَقَاعُسٍ، وَيَكُونُ اللَّهُ تَعَالَى فِي قَلْبِهِ دَائِمًا، لَا يَتَحَرَّكُ إِلَّا فِي حُبِّ اللَّهِ؛ رَجَاءَ رِضَاهِ أَوَّلًا، وَرَحْمَتِهِ ثَانِيًا، وَاتَّقَاءَ عَذَابِهِ ثَالِثًا⁽⁵⁾.

كُلُّ مَنْ كَانَ
مُؤْمِنًا تَقِيًّا، كَانَ
- لَا مُحَالَةَ - لِلَّهِ
وَلِيًّا

❁ الْإِبْضَاحُ اللَّغَوِيُّ وَالْبَلَاغِيُّ:

دلالة الاستئناف في: ﴿أَلَا إِنَّ﴾:

﴿أَلَا إِنَّ﴾ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ﴾،
اسْتِنْفَافٌ لِلتَّصْرِيحِ بِوَعْدِ الْمُؤْمِنِينَ الْمُعْرِضِ بِهِ فِي قَوْلِهِ: ﴿إِلَّا كُنَّا

التَّصْرِيحُ بِبَشَارَةِ
أَوْلِيَاءِ اللَّهِ
تَعَالَى بِالْأَمَانِ
وَالسَّعَادَةِ فِي
الدَّارَيْنِ

(1) رواه أحمد في مسنده، عن عدي بن حاتم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، رقم الحديث: (18253).

(2) ابن فارس، مقاييس اللغة، والسَّمين الحلبي، عمدة الحفاظ: (وقى).

(3) السَّمين الحلبي، عمدة الحفاظ، وجبل، العجم الاشتقاقي للأصل: (وقى)، والناوي، التوقيف على مهمات التعاريف، ص: 340.

(4) الأزهرى، تهذيب اللغة، وابن سيده، المحكم، وابن منظور، لسان العرب، والزبيدي، تاج العروس: (وقى)، والفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 26/432، والناوي، التوقيف على مهمات التعاريف، ص: 106.

(5) أبو زهرة، زهرة التفاسير: 7/602.

عَلَيْكُمْ شُھُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ ﴿يونس: 61﴾ الآية،
 وبتسليية النَّبِيِّ ﷺ عَمَّا يُلَاقِيهِ مِنَ الْكُفَّارِ مِنْ أَذَى وَتَهْدِيدٍ، إِذْ أَعْلَنَ
 اللَّهُ لِلنَّبِيِّ وَالْمُؤْمِنِينَ بِالْأَمْنِ مِنْ مَخَافَةِ أَعْدَائِهِمْ، وَمِنْ الْحَزْنِ مِنْ
 جَرَاءِ ذَلِكَ⁽¹⁾، وَالْمَعْنَى: لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ مِنْ عَذَابٍ يَتَرَقَّبُونَهُ، وَلَا هُمْ
 يَحْزَنُونَ لِخَيْرِ فَاتِهِمْ، وَقَدْ نَفَى الْحَزْنَ عَنْهُمْ؛ لِأَنَّ قُلُوبَهُمْ عَامِرَةٌ بِاللَّهِ
 تَعَالَى⁽²⁾، فَبَعْدَ أَنْ خَوَّفَ الْمَفْتَرِيَّ مَغَبَّةَ عُقْبَاهُ، وَرَجَّى الْمُطِيعَ سَعَادَةَ
 مَثْوَاهُ، كَانَ الْمَتَوَقَّعُ أَنْ يُقَالَ: لَيْتَ شَعْرِي! مَاذَا يَكُونُ تَفْصِيلُ حَالِ
 الْفَرِيقَيْنِ فِي الدَّارَيْنِ عَلَى الْجَزْمِ؟ فَيَكُونُ الْجَوَابُ: بِأَنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ
 فَائِزُونَ، وَأَنَّ أَعْدَاءَهُ هَالِكُونَ، لِيُسَمَّرَ الْمُطِيعُ عَنْ سَاعِدِ جِدِّهِ، وَيُبْذَلَ
 غَايَةُ جُهِدِهِ، فِي اللَّحَاقِ بِالْمُخْلَصِينَ⁽³⁾؛ وَلِيَعْلَمَ الْمُنَافِقُونَ وَالْكَافِرُونَ
 أَنَّهُمْ لَا يَعْجِزُونَ اللَّهَ؛ لِأَنَّ عِلْمَهُ مُحِيطٌ بِمَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ،
 وَأَنَّ فَطِيحَ أَعْمَالِهِمْ مُنْبِتٌ مُسْتَنْسَخٌ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ؛ لِيَدْرِكَ الْمَفْتَرُونَ
 عَلَى اللَّهِ تَعَالَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا سَيَعْتَرِيهِمْ مِنْ هَوْلٍ، وَمَا سَيَصِيبُهُمْ
 مِنْ عَذَابٍ⁽⁴⁾، وَهَذَا عَلَى سَبِيلِ التَّلْمِيحِ لَا التَّصْرِيحِ، كَمَا أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ
 جَاءَتْ لَتُنَوِّهَ بِالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِهَذِهِ الرِّسَالَةِ وَتَوَلَّوْا اللَّهَ وَرَسُولَهُ⁽⁵⁾،
 فَحَسُنَ الْفَصْلُ بَيْنَهَا وَبَيْنَ مَا سَبَقَهَا.

السَّرُّ فِي افْتِتَاحِ الْكَلَامِ بِأَدَاةِ التَّنْبِيهِ ﴿أَلَا﴾:

فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ﴾ اسْتِفْتَاحٌ وَتَنْبِيهٌُ بِأَدَاةِ التَّنْبِيهِ
 ﴿أَلَا﴾⁽⁶⁾، مُرَكَّبَةٌ مِنَ الْهَمْزَةِ وَلَا النَّافِيَةِ، مُغَيَّرَةٌ عَنْ مَعْنَاهَا الْأَوَّلِ إِلَى
 التَّنْبِيهِ، وَهِيَ حَرْفٌ تَنْبِيهِ يُسْتَفْتَحُ بِهِ الْكَلَامُ⁽⁷⁾، لِيَتَنَبَّهَ السَّمَاعُ لِمَا

الإيماء إلى
أهمية شأن
الكلام للدرج
والاعتناء به

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 11/215.

(2) أبو زهرة، زهرة التفاسير: 7/603.

(3) البقاعي، نظم الدرر: 9/153.

(4) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 4/158.

(5) محمد عزة دروزة، التفسير الحديث: 3/483.

(6) الثعالبي، الجواهر الحسان: 3/253.

(7) محيي الدين درويش، إعراب القرآن الكريم وبيانه: 4/270.

بعدها، ويعتني بها لعظم الخطاب المُفتَح بها، ومُفادُ المعنى: انتبهوا أيُّها المُخاطَبون إلى أنَّ أولياء الله هم الذين يتولَّونه بإخلاص العبادة له وحده، والتَّوكُّل عليه، ولا يتَّخذون له أندادًا يحبُّونهم كحبِّه، ولا يتَّخذون من دونه وليًّا ولا شفيعًا يقرِّبهم إليه زُلْفَى⁽¹⁾، وقد كان افتتاحُ الكلام بأداة التَّنبيه إيماءً إلى أهميَّة شأنه، ولذلك أكَّدتِ الجملة بالحرف المُؤكِّد ﴿إِنَّ﴾ بعد أداة التَّنبيه⁽²⁾، وقد جاء هذا التَّنبيه حذرًا من مغالاة بعض المُلحدين في الولي⁽³⁾.

دلالة ﴿إِنَّ﴾ على التَّوكيد:

افتتحت الآية الكريمة بالتَّنبيه ﴿أَلَا﴾ المُؤكِّد بأداة التَّوكيد ﴿إِنَّ﴾، وذلك في قوله تعالى: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ﴾ لتنبية النَّاسِ إلى وجوب الاقتداء بهم، حتَّى ينالوا ما ناله أولئك الأولياء الصَّالحون من سعادة دُنيويَّة وأخرويَّة⁽⁴⁾، والتَّوكيد قوَّة في الدَّلالة، وتعبيرٌ جازمٌ بحصول المعنى على جهة اليقين، بحيث إنَّ أولياء الله لا خوفٌ عليهم في الدَّارين من لُحوق مكروهٍ يقينًا، ولا هم يحزنون من فواتٍ مطلوبٍ صدقًا⁽⁵⁾.

دلالة لفظ (الأولياء) بين الحقيقة والمجاز:

قوله تعالى: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾: الوليُّ: المُوالي، أي: المُحالفُ والنَّاصر، وهو في الأصل ضدُّ العدوِّ، والأولياء سُمُّوا بذلك لأنَّهم هم المنصورون بالله، المُعزَّزون به، وكلُّها ترجعُ إلى معنى الوليِّ (بسكون اللَّام)، وهو القُربُ، وهو قُربٌ مجازيٌّ يُستعارُ للقُرب من حيث المكان، ومن حيث النِّسبة، ومن حيث الدِّين، ومن

تنبيه النَّاسِ إلى
وجوب الاقتداء
الحقِّ بأولياء
الله الصَّالحين

الدَّلالة على
معنى القُرب
والدُّنُو لعلاقة
الوليِّ بالقُرب
من الله

(1) الهري، حقائق الرُّوح والزَّيَّحان: 12/290.

(2) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 11/216.

(3) ابن عطية، الحَزْر الوجيز: 3/128.

(4) طنطاوي، التَّفْسير الوسيط: 7/94.

(5) الجاوي، مراح لبيد لكشف معنى القرآن للجيد: 1/490.

حيث الصداقة والنصرة والاعتقاد⁽¹⁾، بطريق الاستعارة التصريحية التبعية، وجاز هنا كونه بمعنى الفاعل، أي الذين يتولونه بالطاعة، كقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾⁽²⁾، فالولي على هذا المعنى على وزن فاعيل، مبالغة من الفاعل، وهو من توات طاعاته من غير أن يتخللها عصيان⁽³⁾، ويجوز أن يكون (فعل) بمعنى مفعول، كجريح وقتيل، بمعنى مجروح ومقتول، فيكون الولي من يتوالى عليه إحسان الله وأفضاله، ويكون بمعنى كونه محفوظاً في عامة أحواله من المحن، وهو الذي يتولاه ربه بالإكرام، كقوله تعالى: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾⁽⁴⁾، فهو قرب من الجانبين⁽⁵⁾، ولذلك فسّروه هنا بأنه الذي يتولّى الله بالطاعة ويتولاه الله بالكرامة⁽⁶⁾.

دلالة التعبير بالغبية: ﴿أَوْلِيَاءَ اللَّهِ﴾:

في التعبير بـ ﴿أَوْلِيَاءَ اللَّهِ﴾ في قوله تعالى: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾: دون أن يؤتى بضمير الخطاب الذي يقتضيه قوله تعالى في الآية السابقة: ﴿وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ﴾، إيدان بأن المخاطبين قد حق لهم أنهم من أولياء الله، مع إفادة حكم عام شملهم، وسوف يشمل من يأتي على طريقته⁽⁷⁾.

دلالة الإضافة في: ﴿أَوْلِيَاءَ اللَّهِ﴾:

إضافة الأولياء إلى الاسم الجليل ﴿أَوْلِيَاءَ اللَّهِ﴾ في قوله تعالى: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ﴾: دليل على التشريف والتكريم المؤذن برفعتهم

الإشعار بأن
الحكم يشمل
لوصوفين،
لكونهم من
أولياء الله

لفظ الجلالة
في السياق،
تشريف وتكريم
وعظمة

(1) الظهري، التفسير للظهري: 5/38.

(2) القشيري، لطائف الإشارات: 2/104.

(3) القشيري، لطائف الإشارات: 2/104، والقاسمي، محاسن التأويل: 6/37.

(4) القونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 9/511.

(5) الرمخشري، الكشف: 2/355، وأبو حيان، البحر المحيط: 6/81، وابن عاشور، التحرير والتنوير:

11/218.

(6) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 11/216.

وتأهلهم إلى مقامات القرب من حضرة القدس التي يكون بها
الأنس؛ لأنهم بإضافتهم إلى الله نالوا قربَه، وحازوا رضاه، وهم
بذلك القرب التَّضْيِير، والأنس الكبير لا خوفٌ عليهم من لُحوقِ
مكروهٍ، ولا هم يحزنون بفواتِ مأمولٍ⁽¹⁾.

سرُّ أسلوبِ النَّفْيِ:

قوله تعالى: ﴿لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾، يُحتملُ أن يكون في الآخرة، أي:
لا يهتمُّون بهمَّها، ولا يخافون عذابًا ولا عقابًا، ولا يحزنون لذلك،
ويُحتملُ أن يكون ذلك في الدنيا، أي: لا يخافون أحدًا من أهل الدنيا،
ولا من أعراضها، ولا يحزنون على ما فاتهم منها، والأوَّل أظهرٌ،
والعمومُ في ذلك صحيحٌ؛ فهُم لا يخافون في الآخرة جملةً، ولا في
الدُّنيا الخوفَ الدُّنيويَّ الَّذي هو في قَوْتِ آمالِها، وزوالِ منازلها،
وكذلك القولُ في الحزن⁽²⁾.

بيانُ الجزاءِ
الأوفى للأولياءِ
الصَّالحينَ،
بنجاتهم في
الدَّارينِ

نُكْتَةُ تَعْدِيَةِ الْخَوْفِ بِحَرْفِ الْجَرِّ (على):

قوله تعالى: ﴿لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾، أي: حالهم حالٌ مَنْ لا ينبغي أن
يخاف، ولذلك لا يَخَافُ عليهم أولياؤُهُم؛ لأنَّهم يَأْمَنُونَ عليهم من
عاقبة ما يتوجَّسون منه خيفةً، فالخوف الذي هو مصدرٌ في الآية،
يُقَدَّرُ مضافًا إلى فاعله، وهو غيرُهُم لا محالةً، أي: لا خوفٌ يخافه
خائفٌ عليهم، وهم أنفسهم إذا اعتراهم الخوفُ، لا يلبث أن ينقشع
عنهم وتحلُّ السَّكِينَةُ مَحَلَّهُ⁽³⁾، والخوفُ قد يكون عارضًا يستولي
على النَّفْسِ مِنَ التَّوَجُّسِ مِنْ شَيْءٍ يطرأ، ويقعُّ منه ضررٌ أو ألمٌ أو
حرمانٌ، وقد يكون من مَنظورٍ آخرٍ مُرتبطًا بمن يخاف عليه بشعور
يولدُ لديه الإحساسُ بالخوفِ عليه، "وفي تعديةِ الخوفِ بحرفِ الجرِّ

نفْيِ خوفٍ
غيرِهِم عليهم،
مع نفْيِ استمرارِ
خوفِهِم ضمانًا
لَهُم

(1) ابن عجيبة، البحر اللديد في تفسير القرآن الجيد: 2/284.

(2) ابن عطية، الحزْر الوجيز: 3/128.

(3) ابن عاشور، التَّحْريِر والتَّنْوير: 11/217.

(على) إشارة إلى أنَّ الخوف إنَّما يكونُ مِنْ توقُّعاتِ المستقبل، فهو مقبَلٌ لا مدبرٌ... ويكون المعنى: لا خوفٌ مقبَلٌ عليهم..⁽¹⁾.

سرُّ استعمالِ الجملةِ الاسميَّةِ:

نفى حصول
الخوفِ للمتَّقين،
تمكينٌ لهم

نلاحظُ في الآيةِ الكريمةِ إيثَارَ الجملةِ الاسميَّةِ ﴿لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ في قوله تعالى: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ عِوَضَ الجملةِ الفعليَّةِ (لا يخافون)، وذلك لتأكيدِ معنى الاستمراريَّةِ والثَّباتِ، في حال الأمان الذي لا خوفٌ يخالطُه، وهو ملمحٌ لبُتِّ الطُّمأنينةِ في قلوبِ أوليائِهِ الْمُتَّقِينَ، وقوله: ﴿لَا خَوْفٌ﴾ أي: ثابَتْ عالِ ﴿عَلَيْهِمْ﴾ أي: من شيءٍ يَسْتَقْبِلُهُمْ⁽²⁾، فالمعنى: لا يحصلُ لهم خوفٌ مُتَمَكِّنٌ ثابتٌ يبقى فيهم ولا يجدون تَخَلُّصًا منه⁽³⁾.

نُكْتَةُ الاختلافِ بينِ الجُمْلَتَيْنِ فِي الاسميَّةِ والفعليَّةِ:

اختلافُ شَيوعِ
كلِّ وَصْفٍ مِنْهُمَا
بحسبِ طبيعَتِهِ
ووجودِهِ

قوله: ﴿لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾، اختلافُ شَأْنِ الخوفِ والحزنِ بشيوعِ وَصْفِ الحزنِ بعدمِ الثَّباتِ، كما قيل: (فَلَا حُزْنٌ يَدُومٌ وَلَا سُرُورٌ)⁽⁴⁾؛ دونِ الأوَّلِ وهو الخوفُ، ولذا ناسبَ أن يُعبَّرَ بالاسمِ في الأوَّلِ وبالفعلِ المفيدِ لِلْحُدُوثِ والتَّجَدُّدِ في الثَّاني⁽⁵⁾، لتتقابلَ الجُمْلَتَانِ فتؤدِّيَا المعنى بتكاملٍ واستيعابٍ لكلِّ دلالةٍ في موقعها وظروفها وملابساتها.

نُكْتَةُ تقديمِ المُسْنَدِ إِلَيْهِ:

لا حزنٌ مع
الإيمانِ، ولا
سعادةٌ مع
الكُفْرانِ

تقديمُ المُسْنَدِ إِلَيْهِ ﴿هُمْ﴾، على الخبرِ الفعليِّ ﴿يَحْزَنُونَ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾؛ لتقويةِ الحُكْمِ الحاصلِ بالخبرِ الفعليِّ، أي: لا يحصلُ لهم خوفٌ مُتَمَكِّنٌ ثابتٌ يبقى فيهم، ولا يجدون

(1) عبد الكريم الخطيب، التفسير القرآن للقرآن: 40/6.

(2) البقاعي، نظم الدرر: 9/153.

(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 11/217.

(4) هذا شطر من بيت للإمام الشافعي، وهو من بحر الوافر، وتكملته: (وَلَا يُؤْسُ عَلَيْكَ وَلَا زَخَاءُ).

يُنظر: الشافعي، ديوان الإمام الشافعي، ص: 10.

(5) الألوسي، روح المعاني: 6/138.

تَخَلَّصًا مِنْهُ⁽¹⁾. فالمعنى: أَنَّهُمْ لَا يَحْزَنُونَ وَلَكِنَّ الَّذِي يُصِيبُهُ الْحُزْنُ هُوَ غَيْرُهُمْ مِنَ الْكَفَرَةِ، فَهُمْ أَصْحَابُ الْحُزْنِ، فَأَثْبَتَ الْحُزْنَ لِلْكَفَّارِ، وَنَفَاهُ عَنْ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ الْأَبْرَارِ، فَالْتَّقْدِيمُ أَفَادَ الْحَصَرَ، كَقَوْلِ الْقَائِلِ: (مَا أَنَا فَعَلْتُ هَذَا)، يَعْنِي فَعَلَهُ غَيْرِي، فَأَثْبَتَهُ لغيرِهِ مِنْ حَيْثُ إِنَّهُ قَدْ نَفَاهُ عَنْ نَفْسِهِ.

سِرُّ اسْتِعْمَالِ الْفِعْلِ ﴿يَحْزَنُونَ﴾:

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾، أَي: لَا يَتَجَدَّدُ لَهُمْ حُزْنٌ عَلَى فَائِتٍ؛ لِأَنَّ قُلُوبَهُمْ مَعْلَقَةٌ بِاللَّهِ سَبْحَانَهُ، فَلَا يُؤَثِّرُ فِيهِمْ لَذَلِكَ خَوْفٌ وَلَا حُزْنٌ أَثَرًا يَقْطَعُ قُلُوبَهُمْ، كَمَا يَعْزُضُ لغيرِهِمْ⁽²⁾. فَجَعَلَ الْحُزْنَ بِالْفِعْلِ وَأَسْنَدَ إِلَيْهِ، بِقَوْلِهِ: ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾؛ فَلَوْ قَالَ: (لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا حُزْنٌ) لَمْ يَصَحَّ الْمَعْنَى؛ لِأَنَّ مَعْنَى (لَا حُزْنَ عَلَيْهِمْ) لَا يَحْزَنُ عَلَيْهِمْ أَحَدٌ، فَيُنْفَى الْحُزْنُ عَنْ غَيْرِهِمْ، وَلَا يُنْفَى عَنْهُمْ، أَي: أَنَّهُمْ قَدْ يَحْزَنُونَ، لَكِنْ لَا يَحْزَنُ عَلَيْهِمْ أَحَدٌ، وَهَذَا قَدْ يَكُونُ ذِمًّا، كَمَا قَالَ رَبُّنَا: ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ﴾⁽³⁾ [النحل: 127]، يَعْنِي لَا يَسْتَحِقُّونَ أَنْ تَحْزَنَ عَلَيْهِمْ. إِذَنْ لَوْ قَالَ: (لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا حُزْنٌ) مَا اسْتَقَامَ الْمَعْنَى، وَقَدْ يَكُونُ ذِمًّا، وَلَيْسَ فِيهِ فَائِدَةٌ وَلَا يَنْفَعُهُمْ.

دَلَالَةُ الاسْتِنَافِ:

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ بَيَانٌ لِتَوَلِّيهِمْ إِيَّاهُ⁽⁴⁾، وَهُوَ اسْتِنَافٌ بَيَانِيٌّ مَبْنِيٌّ عَلَى تَقْدِيرِ سَوْأَلٍ مُفْتَرَضٍ، مُفَادُهُ: (مَنْ هُمْ أَوْلِيَاءُ اللَّهِ؟) فَكَانَ الْجَوَابُ: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾. فَفَسَّرَهُمْ بِقَوْلِهِ: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ أَي: أَوْجَدُوا هَذَا الْوَصْفَ الْمُسَوِّحَ لِلْأَعْمَالِ،

نَفِي تَجَدُّدِ
الْحُزْنِ وَنَفِي
دَوَامِهِ، مِنْ
رَحْمَةِ اللَّهِ
بِالْمُؤْمِنِينَ

بَيَانٌ مَسْوُوقٌ
لِتَوْضِيحِ حَقِيقَةِ
أَوْلِيَاءِ اللَّهِ

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 11/217.

(2) البقاعي، نظم الدرر: 9/153.

(3) البيضاوي، أنوار التنزيل: 3/118.

وبه كمالُ القوَّةِ العِلْمِيَّةِ⁽¹⁾، فهو استئنافٌ مَسوقٌ لتوضيح حقيقتهم⁽²⁾، مع الإشارةِ إلى ما به نالوا ما نالوا⁽³⁾.

بَلَاغَةُ الاسِمِ الْمَوْصُولِ «الَّذِينَ» وَدَلَالَتُهُ:

محلُّ الموصولِ «الَّذِينَ» في قوله تعالى: «الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ» الرَّفْعُ على أَنَّهُ خبرٌ لمبتدأ محذوفٍ، وتقديرُ الكلام: (هم الذين جمعوا بين الإيمان والتَّقوى) الْمُفْضِيَّينَ إلى كُلِّ خَيْرٍ، الْمُنْجِيَّينَ من كُلِّ شَرٍّ، وقيل: محله النَّصَبُ أوِ الرَّفْعُ على المدحِ أوِ على أَنَّهُ وصفٌ مادحٌ للأولياء، ولا يقدحُ في ذلك توسُّطُ الخبر⁽⁴⁾.

ولا جَرَمَ أَنَّ الذين لَبِسُوا هذه الصِّفَةَ مِنَ الإيمانِ السَّابِغِ، والتَّقوى الْمُفْضِيَّةِ إلى القُرْبِ والانسِلَاكِ في نهجِ أولياءِ الله، آمَنُوا باللهِ حَقَّ الإيمانِ يعبدونه كأنَّهم يرونه، وأحسنوا، كما قال ﷺ: «اعْبُدِ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ»⁽⁵⁾.

سِرُّ التَّعْبِيرِ عَنِ الْإِيمَانِ بِالْمَاضِي، وَعَنِ التَّقْوَى بِالْمُضَارِعِ:

في التَّعْبِيرِ عَنِ الْإِيمَانِ بِالْمَاضِي «الَّذِينَ آمَنُوا»، وَعَنِ التَّقْوَى بِالْمُسْتَقْبَلِ «وَكَانُوا يَتَّقُونَ» إشارةٌ إلى أَنَّ الْإِيمَانَ يَسْبِقُ التَّقْوَى، الَّتِي تَقُومُ على اتِّقَاءِ محارِمِ الله؛ لِأَنَّ هَذَا الْإِتِّقَاءَ هُوَ مِنْ مُعْطِيَّاتِ الْإِيمَانِ بِاللَّهِ⁽⁶⁾، ففِي قَوْلِهِ تَعَالَى: «آمَنُوا» إشارةٌ إلى كَمَالِ حَالِ الْقُوَّةِ النَّظَرِيَّةِ، وَقَوْلِهِ: «وَكَانُوا يَتَّقُونَ» إشارةٌ إلى كَمَالِ حَالِ الْقُوَّةِ الْعَمَلِيَّةِ، وَفِيهِ قِيَامُ آخَرٍ؛ وَهُوَ أَنَّ يُحْمَلَ الْإِيمَانُ عَلَى مَجْمُوعِ الْإِعْتِقَادِ وَالْعَمَلِ⁽⁷⁾.

تفصيل الوصف
لِلنُّوَّةِ بِمَنْ جَمَعَ
بَيْنَ الْإِيمَانِ
وَالْتَّقْوَى

الإشارة إلى أَنَّ
الْإِيمَانَ سَابِقٌ،
وَأَنَّ الْإِتِّقَاءَ
مُفْضٍ لِلْإِيمَانِ

(1) البقاعي، نظم الدرر: 9/153.

(2) طنطاوي، التفسير الوسيط: 7/95.

(3) الألوسي، روح المعاني: 6/139.

(4) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 4/159، والبروسوي، روح البيان: 4/59.

(5) هذا الحديث جزء من حديث جبريل ﷺ الشهير، متفق عليه، من رواية البخاري، الجامع الصحيح، الحديث رقم: (48)، ومسلم، صحيح مسلم، الحديث رقم: (10)، كتاب الإيمان عن أبي هريرة ؓ، ويُنظر: محمَّد أبو زهرة، زهرة التفاسير: 7/602.

(6) عبد الكريم الخطيب، التفسير القرآني للقرآن: 6/40.

(7) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 17/275.

نكتة إيراد الفعل الماضي «آمَنُوا»:

قوله تعالى: «الَّذِينَ آمَنُوا» عبّر عن إيمانهم بالفعل الماضي، للإشارة إلى أنه إيمان ثابت راسخ لا تؤثر فيه الشبهات⁽¹⁾، وبيان أنه كان كاملاً باليقين، لم يُزلزله شك ولم يحصل بالتدريج⁽²⁾.

الإيمان لا تزلزله
الشكوك،
ولا تؤثر فيه
الشبهات

دلالة التعبير عن تقواهم بالفعل المضارع:

عبّر النظم الكريم عن تقواهم بالفعل الدالّ على الحال والاستقبال «يَتَّقُونَ»؛ للإيدان بأن اتقأهم وابتعادهم عن كل ما يُغضب الله من الأقوال والأفعال يتجدّد ويستمرّ دون أن يصرفهم عن تقواهم وخوفهم منه سبحانه ترغيب أو ترهيب⁽³⁾؛ لأنّ التقوى تتجدّد دائماً بحسب مُتعلّقاتها: من كسب وحرب، وشهوة وغضب⁽⁴⁾؛ فهذه صفة الأولياء؛ آمنوا في الحال، واتقوا الشّرك في المال⁽⁵⁾.

التقوى سرّ قلبي
يتجدّد باطرادٍ
ولا يتبدّد

دلالة توسيط «وكانوا»:

في قوله تعالى: «الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ»: جاء الفعل «وكانوا» متوسطاً ليفيد أنه (كون) صار لهم جبلةً وخُلُقاً⁽⁶⁾؛ ودلّ قوله: «وكانوا يَتَّقُونَ»، على أنّ التقوى ملازمة لهم أخذاً من صيغة (كانوا)⁽⁷⁾، وقد دخل فعل التقوى في حيّز الفعل الماضي (كان) «وكانوا يَتَّقُونَ» فكانت التقوى أيضاً ممّا حدث من هؤلاء المتّقين، كما حدث منهم الإيمان من قبل، وإلا ما استحقّوا صفة الأولياء، أولياء الله؛ فالإيمان ثمّ التقوى ثمّ الولاية، يجيء بعضها إثر بعض⁽⁸⁾.

بيان أنّ التقوى
ملازمة لهم،
حتى صارت لهم
جبلةً وخُلُقاً

(1) طنطاوي، التفسير الوسيط: 7/95.

(2) رشيد رضا، تفسير للنار: 11/416.

(3) طنطاوي، التفسير الوسيط: 7/95.

(4) رشيد رضا، تفسير للنار: 11/416.

(5) القشيري، لطائف الإشارات: 2/105.

(6) البقاعي، نظم الدرر: 9/153.

(7) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 11/218.

(8) عبد الكريم الخطيب، التفسير القرآني للقرآن: 6/1039.

دلالة عطف التقوى على الإيمان:

الولاية متصلة
بالتقوى،
والتقوى أثر من
آثار الإيمان

قوله تعالى: ﴿وَكَاثِبُوا يَتَّقُونَ﴾: فيه إشعار بأن ولاية الله للعبد، وولاية العبد لله لا تكون بالإيمان وحده، بل لابد من اقترانه بالتقوى؛ التي هي فعلُ المأمورات على اختلاف أنواعها، وترك المنهيات بجميع صنوفها، وألوانها⁽¹⁾، فلا ولاية بغير الإيمان بالله؛ إذ الولاء حبُّ وطاعة وعبادة⁽²⁾، وكلُّ مَنْ كان تقياً كان لله ولياً⁽³⁾. وقد تكرر ذكر التقوى بعد الإيمان في كثير من آي القرآن، كقوله تعالى: ﴿وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ [يوسف: 57]، وقوله: ﴿وَأَنجَيْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ [النمل: 53]، وقوله: ﴿وَأَنجَيْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ [إفصت: 18]، وجمعُ الإيمان مع التقوى في كثير من الآيات القرآنية جديرٌ بالتشبيه والتنويه، من حيث كون الإيمان أمراً قلبياً وغيبياً، وكون التقوى بُرهاناً عليه، يعني التزام كلِّ ما أمر الله ورسوله به، وكلِّ ما نهى عنه لينال المؤمن رضا الله تعالى، ويتفادى غضبه، ولا يمكن أن تصحَّ دعوى الإيمان إلا به، من حيث إنَّ التقوى هي أعظمُ مظاهره⁽⁴⁾.

المتشابه اللفظي:

نفي الخوف
والحزن الثابت
والتجدد من
حياة أولياء الله

قوله تعالى: ﴿لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾، هذه العبارة تكررت في أربعة عشر موضعاً من القرآن الكريم، منها ستة في سورة البقرة وحدها، والخوف والحزن في قوله تعالى: ﴿لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ يعكسان حالتين نفسيّتين: يكون الخوف فيها من أجل مكروه يُتوقع حصوله، إذ الخوف: تألم القلب واحتراقه بسبب توقع مكروه في المستقبل⁽⁵⁾، والحزن: ما يحصل لوقوع مكروه،

(1) الدرة، تفسير القرآن الكريم وإعرابه وبيانه: 4/340.

(2) عبد الكريم الخطيب، التفسير القرآني للقرآن: 6/1039.

(3) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 4/242.

(4) محمّد عزة دروزة، التفسير الحديث: 3/483.

(5) الغزالي، إحياء علوم الدين: 4/155.

أو فواتٍ محبوبٍ في الماضي⁽¹⁾، فمعنى «لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ»، لا يُخشى عليهم خطرٌ، فقد يكونُ الشَّخْصُ خائِفاً من شيءٍ غيرِ مُخيفٍ ولا خطرٍ عليه فيه، فلا يكونُ عليه خوفٌ، سواء أكان خائِفاً أم كان غيرِ خائفٍ ممَّا يتوقَّعه، لذا لم يقل: (لا يخافون)، لأنَّ واقعَ الأمرِ أنَّهم يخافون، فأَمَنَهُم الله بقوله «لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ»، وهذا هو المُهِمُّ، وكذلك القولُ في الحزن، فحُزنُهُم إنَّ كانوا يحزنون لما يصيبُهُم من أمورٍ في الدُّنيا، كقول النَّبِيِّ ﷺ: «وَأَنَا بِفِرَاقِكَ يَا إِبْرَاهِيمُ لَمَحْزُونُونَ»⁽²⁾، فذلك حزنٌ وجدانيٌّ لا يَسْتَقِرُّ، بل يزول بالصَّبْر، ولكنَّهُم لا يلحقُهُم الحزنُ الدَّائمُ، وهو حُزنُ المذلةِ وغلبةِ العدوِّ عليهم وزوال دينِهِم وسلطانِهِم⁽³⁾، ففي هذا التَّركيبَ نَفْيُ الخوفِ والحُزنِ الثَّابِتِ والمُتَجَدِّدِ، وذلك لأنَّ نَفْيَ الحزنِ المُتَجَدِّدِ يَنفِي الخوفَ المُتَجَدِّدَ، لأنَّ المرءَ يخافُ فيحزنُ، فنَفْيُ الخوفِ الثَّابِتِ يَنفِي الحزنَ الثَّابِتَ؛ لأنَّ نَفْيَ الحزنِ المُتَجَدِّدِ يَقْتَضِي نَفْيَ الخوفِ المُتَجَدِّدِ، لأنَّ الأمرَ قَبْلَ أن يقعَ مَخُوفٌ منه، فإذا وقعَ حَزَنَتْ عليه، فكلُّ منهما مُرتَبِطٌ بالآخر.

❁ الفُروقُ المُعْجَمِيَّةُ:

الخوفُ والخَشْيَةُ:

الخوفُ: توقُّعُ حلولِ مكروهٍ، أو فواتٍ محبوبٍ⁽⁴⁾، والخَشْيَةُ: تَأَلُّمُ القلبِ لتوقُّعِ المكروهِ مُسْتَقْبَلاً⁽⁵⁾، وهما متقاربان في اللُّغة؛ أمَّا ما كان منهما من العبدِ في حقِّ ربِّه فإنَّ الخوفَ تَأَلُّمُ النَّفْسِ مِنَ العقابِ

الخَشْيَةُ خَوْفٌ
خَاصٌّ بِشَوْبِهِ
تَعْظِيمٌ، وَهِيَ
أَثَرٌ مِنْ أَثَارِ
الخوفِ

(1) الجرجاني، التَّعْرِيفَات، ص: 86.

(2) أخرجه البخاري، كتاب الجنائز، باب قول النَّبِيِّ ﷺ: «إِنَّا بِكَ لَمَحْزُونُونَ»، الحديث رقم: (1303)، ومسلم في الفضائل باب رحمته الصَّبيان والعيال وتواضعِهِ وفضل ذلك، الحديث رقم: (2315).

(3) ابن عاشور، التَّحْرِيرُ والتَّنْوِيرُ: 11/217.

(4) الجرجاني، التَّعْرِيفَات، ص: 101.

(5) المناوي، التَّوْقِيفُ على مَهَمَّاتِ التَّعَارِيفِ، ص: 155.

المتوقع، بسبب ارتكاب المنهيات، والتقصير في الطاعات، وهو يحصل لأكثر الخلق، وإن كانت مراتبه متفاوتة جداً، والمرتبة العليا منه لا تحصل إلا للقليل⁽¹⁾. والخشية: حالة تحصل عند الشعور بمعرفة جلال الله وهيبته⁽²⁾، وخوف الحجب عنه، وهذه حالة لا تحصل إلا لمن علم وذاق لذة القرب، ولذا قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: 28]، فالخوف من شرط الإيمان، والخشية من شرط العلم⁽³⁾، فالخشية: خوف خاص يشوبه تعظيم⁽⁴⁾، ويؤيد هذا قوله تعالى واصفاً المؤمنين ﴿وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ﴾ [التَّوْبَةُ: 21]، حيث ذكر الخشية في جانبه سبحانه، والخوف في جانب الحساب.

الحزن والكرب:

الحزن: تكاثف الغم وغلظه، ويحصل لوقوع مكروه، أو فوات محبوب في الماضي⁽⁵⁾، مأخوذ من الأرض الحزن، وهي: الغليظة الصلبة، والكرب: تكاثف الغم مع ضيق الصدر، والكربة: أشد من الحزن والغم، ويقال: هو الحزن الذي يذيب القلب، أي: يحيره ويخرجه عن أعمال الأعضاء، وربما أهلك النفس⁽⁶⁾. قال تعالى: ﴿وَنُوحًا إِذْ نَادَى مِنْ قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ﴾ [الأنبياء: 76]، ولهذا يقال لليوم الحار: يوم كرب، أي: كرب من فيه، وقد كرب الرجل وهو مكروب، وقد كربته إذا غمّه وضيق صدره⁽⁷⁾.

الحزن انفعال
وألم عند وقوع
خطب ما،
والكرب شدة
الحزن وقوته

(1) العسكري، معجم الفروق اللغوية، ص: 218.

(2) الجرجاني، التعريفات، ص: 98، والناوي، التوقيف على مهمات التعاريف، ص: 155.

(3) البعلي، اللطيف على ألفاظ اللقن، ص: 239.

(4) الزاغبي، المفردات، والسمين الحلي، عمدة الحفاظ، والزبيدي، تاج العروس: (خشي).

(5) الجرجاني، التعريفات، ص: 86.

(6) الكفوي، الكليات، فصل الكاف، ص: 772.

(7) العسكري، الفروق اللغوية، ص: 267.

عنوان الكتاب:

موسوعة التفسير البلاغي، المجلد التاسع عشر، سورة يونس من الآية 15 إلى الآية 75
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة

*

التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة

سنة الطبع: 1445هـ - 2024م

© حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي

الطبعة الأولى: 2024م

*

الفهرسة الوصفية أثناء النشر:

مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366

م. ق. ت

التفسير البلاغي للقرآن: المجلد التاسع عشر، سورة يونس من الآية 15 إلى الآية 75 [إشراف مجمع

القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-

الشارقة، الإمارات العربية المتحدة: منشورات القاسمي، 2024.

مج. 19، 804 صفحة؛ 24x17 سم.

ردمك: 978-9948-768-16-6

يشتمل على ارجاعات ببلليوجرافية.

مج. 19: المجلد التاسع عشر، سورة يونس من الآية 15 إلى الآية 75.

1-القرآن - تفاسير نحوية 2-القرآن، بديع 3-القرآن، بلاغة 4-القرآن - سور وآيات 5-القرآن-

ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).

قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي: 978-9948-768-16-6

*

إذن طباعة رقم: MC-03-01-6365726 بتاريخ 2024/02/07م،

مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة

*

الفئة العمرية: E

«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري

الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»

*

الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE

الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»